

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتناخ

الدكتورة: أسمان بوعيشة

جامعة الحاج لخضر: باتنة- الجزائر

هيمن الفكر الديني على العقل الغربي المسيحي في القرون الوسطى ،لذلك كانت الرواية السائدة في الفكر المسيحي و اليهودي في الغرب أن الكتاب المقدس كتبه موسى عليه السلام و مجموعة من الأنبياء و الملهمين ،لكن مع بداية العصر الحديث و خاصة في عصر الأنوار ارتفعت في الساحة الفكرية الغربية أصوات ترفض قداسة الكتاب المقدس و خاصة التوراة ،حيث لاحت موجة من الرفض لموسوية على يد زمرة من الفلاسفة و العلماء و رجال الدين ،ثم تطور هذا الرفض إلى إثارة إشكالات أخرى تبحث عن كتب هذه الكتب المقدسة ؟ متى ؟ و كيف ؟و أين ؟ و لماذا؟ كل هذه التساؤلات خلّفت اتجاهات نقدية عديدة تجمعت تحت منظومة تنظيرية شملت ثلاث نظريات كبرى تطورت على مر الأيام إلى ما يعرف ب: نظرية المصادر The Documents Hypothesis ، نظرية الأجزاء The Fragment Hypothesis ، و نظرية التكملة The supplementary Hypothesis ، وقد حاولت هذه النظريات تحليل ترابط القطع الأدبية المتعددة في كتاب واحد ألا وهو التناخ ، كما ساهمت على اختلافها و تعارضها في تدوير عجلة الحركة النقدية الغربية للتناخ وتنشيطها مما أنتج موسوعة نقدية رائدة في العصر الحديث.

وقد قسمت هذه الورقة إلى:

مقدمة .

المطلب الأول: نظرية المصادر

المطلب الثاني : نظرية الأجزاء .

المطلب الثالث : نظرية التكملة.

خاتمة .

ولمعالجة هذه المحاور أستعين بالتساؤلات التالية : ما هي أهم النظريات التي طبعت سيرورة الحركة النقدية الغربية ؟ وكيف ظهرت ؟ وما الأسباب التي أدت بالدارسين الكتابيين إلى اعتماد نظرية المصدر على حساب باقي النظريتين ؟ و هل تمكنت من حل إشكالية ظهور التناخ في مجال الدراسات النقدية في العصر الحديث؟

مقدمة:

كانت إشكالية مصادر التوراة هي المسألة الرئيسية التي أثارت الجدل و النقاش في الأوساط العلمية الغربية ، وكان Richard Simon من الأوائل الذين تعرضوا لهذا الإشكال في كتابه critique Histoire du vieux testament حيث افترض وجود حلقة متواصلة من الروايات الشفوية تبدأ من موسى إلى زمن عزرا، وأن في عهد موسى وجدت مدارس لمفسري الشريعة دونت جميع الأحداث والعقائد لبني إسرائيل، وبعد الأسر جُمعت هذه المصادر في كتب التوراة والكتب التاريخية، ومن هنا طرحت إشكالات أخرى وهو : ما هو تاريخ نقل وتوارث هذه النصوص، وكيف تم النقل ؟و تحت أي شكل يمكن تصور هذه المصادر ؟ وكيف جمعت في هذا الشكل الأدبي المعروف بالتوراة ؟ وعليه ظهرت في القرنين الأخيرين ثلاث نظريات كبرى تطورت على مر الأيام، حاولت تحليل ترابط القطع الأدبية المتعددة في كتاب واحد ألا وهو التوراة.

ولأجل حل جميع هذه الإشكالات تبلورت ثلاث نظريات كبرى وهي:

- نظرية المصادر Documentary Hypothesis

- نظرية الأجزاء (1805-1831م) The Hypothesis Fragment

- نظرية التكملة (1831-1853م). The supplementary Hypothesis (1).

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتأخ - د- أسمهان بوعيشة

ويعد Eicchorن،Witter،Astruc و Ilgen أقطاب نظرية المصادر القديمة، حيث اعتبر هؤلاء أن سفر التكوين تشكل من خلال مجاورة عدد صغير من المصادر الروائية والمتكاملة والمتتالية عن تاريخ الوجود، وتعد هذه النظرية ابتداء من القرن التاسع عشر الأصل والأساس لأغلب النظريات النقدية، لكن بالإضافة لنظرية المصادر حاول العلماء والدارسون إيجاد حلول ونظريات أخرى حول كتابة التوراة، ولكنهم أدركوا عدم جدواها، حيث انتشرت نظريتين أخريتين ولوقت من الزمن وهما نظريتي الأجزاء التي ظهرت على يد Geddes ثم Vater و غيرهما ونظرية التكملة (الملحقات) التي أوجدها Ewald و Tuch و غيرهما.

وقد خصصت هذا المطب لدراسة نظرية المصادر التي استحوذت على مجال الدراسات النقدية في القرنين الأخيرين و معارضيتها ،فماهي نظرية المصادر ؟ وكيف ظهرت؟ وما الأسباب التي أدت بالدارسين الكتابيين إلى اعتماد هذه النظرية ؟

المبحث الأول : نظرية المصادر

المطب الأول: نظرية المصادر القديمة The Old Documents Hypothesis

ازدهر الجدل حول كُتَاب الكتاب المقدس منذ عصر spinoza و Hobbes وبداية الفلسفة المعاصرة في القرن 17 م، وبذلك انهارت المقولة التقليدية حول كتابة موسى للنص المقدس عن طريق الوحي الإلهي، وبدأ عهد جديد في دراسة الكتب المقدسة، وظهرت نظريات عدة حول الكُتَاب وزمن الكتابة ولا زالت مستمرة، وقد كان لعلم الفيلولوجيا والأركيولوجيا دورا هاما في نشأة النظريات المتعددة عن الكتاب المقدس.(1)

رغم أن الرواية اللاهوتية تصور الأسفار الخمسة ككتاب واحد متناغم اللغة و الموضوع ، إلا أنه لطالما شعر أهل الاختصاص بعدم تجانسه، فافترضوا أن هذه المجموعة ليست سوى تجميع لأربعة تقاليد ووثيقة وضعت في عصور مختلفة.(2)

(1)- Shlomo Sand:The invention of Jewish people , p123

(2)- إسطفان شاربننتيه: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس، ص147.

وشهد القرن الثامن عشر ظهور ثلاث باحثين توصلوا إلى نتائج متماثلة فيما يخص تأليف التوراة، ويتعلق الأمر ب Witter و Astruc و Eicchorن⁽¹⁾.

وترتكز اكتشافاتهم على أمرين: الازدواج القصصي و في ألفاظ الألوهية، وقد لاحظوا أنه يوجد نصان مختلفان لعدد كبير من قصص العهد القديم، قصتان مختلفتان لعملية الخلق، قصتان مختلفتان لتاريخ الآباء، وأنه أحيانا تتطرق إحدى هذه النصوص للرب باسم يهوه والنص الثاني باسم إيلوهيم، فعلى سبيل المثال يذكر في قصة الخلق الإصحاح الأول من سفر التكوين كيفية خلق العالم، ويذكر الإصحاح الثاني في بدايته قصة مختلفة عن نفس الموضوع، وفي كثير من الفقرات تتكرر القصص، وفي مواضع أخرى تتناقض، وتصف نفس الأحداث لكن بترتيب مختلف، ففي النص الأول من قصة الخلق على سبيل المثال خلق الرب النبات أولا ثم الحيوانات بعدها وفي النهاية خلق الرجل والمرأة، أما في النص الثاني فقد خلق الرب الإنسان أولا ثم النبات بعد ذلك، ولكي لا يشعر الإنسان بالوحدة خلق الحيوانات، وفي النهاية يخلق الرب المرأة للرجل⁽²⁾.

الفرع الأول: نظرية Witter

وتبدأ عملية اكتشاف المصادر المتعددة للتوراة سنة 1711 حينما قام القسيس الألماني Witter بنشر دراسة عن التكوين 1-3، فوه لوجود اسمين لله في سفر التكوين إحداهما يسمى إلهوهم (تك 1/1-2، 4 أ) و الآخر يهوه (تك 2، 4ب-3، 24)، فاعتقد Witter أن موسى استخدم مصادر عدة لتأليف التوراة، وبين أن رواية الخلق المذكورة في الإصحاح الأول من سفر التكوين 1/1-2، 4 هي نتاج قصيدة قديمة وأن موسى قام بنقلها وإدخالها في التوراة، وقدم للبرهنة على نظريته الأدلة التالية:

1- أننا لا نجد الاسم الرباعي للإله يهوه في كل الآيات (تك 1/1-2، 4)، بينما يستخدم موسى هذا الاسم فيما يليها من آيات.

2- هناك فرق كبير في الأسلوب بين الإصحاح الأول وباقي الإصحاحات.

(3)- Lods: Histoire De La Littérature Hébraïque Et Juive, Depuis Les Origines Jusqu'à La Ruine De L'Etat Juif , Préface D'André Parrot, (Paris: Payot, 1950), p94.

(2)- ريتشارد إليوت فريدمان: من كتب التوراة، ص 45-46.

3- أن الاصحاب الثاني يكرر نفس الموضوع الذي تعرض له الاصحاب الأول، مما يؤكد اعتماد موسى ٥ على مصادر متعددة.

ولو طبق Witter منهجه النقدي هذا على كل سفر التكوين وباقي أسفار التوراة لكان أول مؤسس للنقد الحديث إزاء الأدب الديني العبري⁽¹⁾.

الفرع الثاني: نظرية Astruc

أهم كتاب Witter و لم يلتفت له الدارسون إلى غاية 1925م، لذلك يعتبر كثير من الدارسين أن Jean Astruc واضع و أب نظرية المصادر، و هو بدوره وضع نظرية عن أصل التوراة انطلاقاً من مصادر متعددة بسبب اختلاف أسماء الألوهية مثلما أشار إليه سابقه Witter في كتابه الذي نشره سنة 1766 تحت عنوان: *Conjecture Sur Les Mémoires Originaux Dont Il Parait*، وقال Astruc أن موسى ٥ يروي في سفر التكوين أحداث وقعت حوالي 2433 قبل الميلاد، ومن المستحيل أن يعلم بكل هذه الأحداث من دون اعتماد وثائق قديمة لمن خبروا وعاشوا هذه الروايات أو عن طريق الوحي، ولا أحد يمكن أن يدعي الرأي الأخير، لأن التوراة نفسها تشهد بأن موسى ٥ لم يدعي في سفر التكوين أنه يتكلم باسم الرب، بل كان موسى ٥ يروي أحداث سفر التكوين كمؤرخ وليس نبي ولم يدعي قط أنه علمها عن طريق الوحي، وعليه لا يمكن اعتماد دليل و حُجة الوحي في تثبيت رواية سفر التكوين دون أدلة وأسس، لأن من عادة الأنبياء في الكتب المقدسة توضيح أوامر الرب عبر الإشارة بكل وضوح أن هذا الكلام من الله، و قد فعل موسى ٥ ذلك في مواضع عدة من أسفار التوراة الأخرى، حينما تعلق الأمر بواجب تبليغ وحي و أوامر الرب للشعب العبري، ليصل Astruc أن موسى ٥ لم يكن ليعلم التواريخ المذكورة في سفر التكوين إلا من خلال سجلات قديمة لأجداده ممن عاشوا تلك القصص، مع الإقرار بأن موسى ٥ اطلع بشكل خاص وعن طريق الوحي، باختيار الوقائع التي نقلها عن أجداده وملابسات هذه الأحداث⁽²⁾.

(2)- Lods: Histoire De La Littérature Hébraïque Et Juive ,p94.

(2)- Jean Astruc: Conjecture Sur La Genèse ,Introduction Et Notes De Pierre Gibert, (Paris: Editins Noésis ,1999), p132-133.

كما اعتقد Astruc أنه لا مناص أمام موسى ٧ لتدوين تاريخ الأجداد والآباء السابقين في التوراة إلا باعتماد وسيلتين وهما: التراث الشفوي أو التراث الكتابي، ثم رجح Astruc أنه كان لموسى ٧ مذكرات عائلية قديمة تحوي تاريخ أجداده منذ خلق العالم، وكى لا يفقد أي جزء من هذه المذكرات قام موسى ٧ بتقسيمها إلى أقسام وهذا بحسب الحدث والقصة المروية، ثم أدخل هذه الأقسام في مجموعة واحدة تلوى الأخرى، وهو ما شكل سفر التكوين^(١).

ولدم نظريته قدم Astruc الأدلة التالية:

1- أن في سفر التكوين تكرر للأحداث نفسها (الخلق، الطوفان... إلخ)، مما يعني أن سفر التكوين نشأ بتجميع مذكرتين أو ثلاث مذكرات قديمة دونت نفس الحدث، و رأى موسى ٧ ضرورة جمعها على شكل قطع محاكية لبعضها البعض، وهذا من أجل الحفاظ على مذكرات قومه وأجداده حول بداية التاريخ.

2- يسمى الله في النص العبري لسفر التكوين باسمين مختلفين، الأول إلهيم والثاني يهوه، وهو ما يعني أن موسى ٧ كتب التوراة بالاعتماد على مذكرات قديمة، وإلا ما كان ليصف الله مرة بيهوه ومرة بإلهيم.

3- عند مقارنة سفر التكوين مع باقي أسفار التوراة نجد أن استخدام اسم إلهيم يكون دائماً بشكل منفصل عن يهوه، مما يعني أن هذه المقاطع تنتمي لمذكرات مختلفة استعان بها موسى ٧ لكتابة سفر التكوين، بينما استغنى في باقي أسفار التوراة عن استعمال إلهيم وحافظ على يهوه، لأنه حسب Astruc كان موسى ٧ شاهداً ومعيناً للأحداث، ومؤلفاً للأسفار التي تروي قيادته لقومه، كما استغنى موسى ٧ عن استخدام اسم الألوهية إلهيم في باقي الأسفار إلا في حالات نادرة، بخلاف سفر التكوين الذي يتردد اسم إلهيم في روايات ومواضع عدة منه دون يهوه، وفي روايات أخرى نجد اسم يهوه دون إلهيم، ولكن عند استخدام هذين الاسمين (يهوه - إلهيم) في نفس الرواية وفي نفس الآية وأحياناً في نفس السطر، فلا يكون ذلك إلا في الأسفار الأربعة الأخرى، ولم يستثن Astruc من هذه المتلازمة سوى الإصحاحين الأولين من سفر الخروج.

)_1(Ibid , p134, 137.

4- حسب مفسري وشرح سفر التكوين هناك إجماع على الخلط في الترتيب الزمني للوقائع وإخلال بالترتيب الكرومونولوجي، فهل يعني هذا أن موسى جمع الروايات والتقاليد القديمة دون تدبر وتفكر ؟ والإجابة لا، لأن هذا مستبعد من شخص يمتلك مهارات فائقة ، مما يرجح تعويله على مجموعة من الذكريات المقسمة إلى قطع روائية، وهو ما يشرح أسباب الخلط في الترتيب الكرومونولوجي للتاريخ القديم (1).

وبناء على هذه الملاحظات قام Astruc بفصل جميع الأجزاء المختلطة، ثم أعاد جمع القطع المتقاربة والتي ترجع إلى نفس المذكرة، ليحصل على المذكرات الأصلية التي اعتمدها موسى في كتابة التكوين، وهكذا قسم سفر التكوين إلى أربع خانات، سمي الأول A حينما استخدم إلهيم للدلالة على الله، وهي عبارة عن مجموعة أجزاء من المذكرات الأصلية الأولى، وسمى الخانة الثانية B حينما سُمى الله بيهوه ، وسمى مجموعة الثالثة C تنتمي إلى مذكرات ثالثة وردت فيها نفس الأحداث لعدة مرات غير أنه لم يذكر فيها اسم الله بتاتا، وهناك مجموعة رابعة أطلق عليها D ويظهر أنها غريبة تماما عن تاريخ الشعب الإسرائيلي وهي تنتمي إلى مذكرات رابعة(2).

وهكذا استطاع Astruc أن يقسم سفر التكوين إلى أربع مصادر متباينة و مختلفة المنشأ قام موسى بجمعها و ترتيبها ليؤلف سفر التكوين .

الفرع الثالث: نظرية Eicchor

ومرة أخرى لم يهتم الدارسون باكتشافات Astruc، إلى أن ظهر Eicchorn الذي تأثر بعمل Astruc، وظل يدافع على موسوية التوراة و أن موسى ألف التوراة في صورتها الحالية، و يدين لـ Astruc بشأن المصادر القديمة الرئيسية وهما المصدر الإلهيمي والمصدر اليهودي في صياغة سفر التكوين، و طبقا لـ Eicchorn فقد تعامل موسى بـ بكل قداسة مع أقوال المصادر القديمة و لم يغير أقوالها إلا عند الضرورة، و كما هو مألوف فإن موسى كان يختار و يدخل في كتابه أجزاء من نفس المصدر و بلغة المصدر دون تمييز أو تغيير، و بسبب عدم الوضوح كان يعرض من المصدرين

(1)- Jean Astruc: Conjecture Sur La Genèse p137-138.,140-141.

وقد أطلق Astruc على هذه الوثائق والتقاليد مصطلح mémore أي مذكرات، وليس مصادر Source كما اصطلح عليها فيما بعد.

(2)- Jean Astruc: Conjecture Sur La Genèse, p144.

قصة واحدة مرتين في صياغتين ،و أما أسفار التوراة الثلاثة الأخرى (الخروج ،اللاويين ، العدد) فهي ليست سوى تجميع لمصادر صغيرة، وأما سفر التثنية فقد كتبه موسى ٧ في آخر أيامه (١).

الفرع الرابع: نظرية Ilgen

في 1798م أعاد Ilgen أفكار Astruc و Eicchorn، واقتصرت دراسته على سفر التكوين، ويرجع الفضل إليه في تحديد مصدرين في الوثيقة الإلهيمية، كما دعا إلى ربط تاريخ المصادر بتاريخ إسرائيل، وانطلق من فكرة أن مصادر التوراة جُمعت ووُضعت في الهيكل وهناك حُرُفت وأُتلفت، وعلى العلماء الآن يقع عاتق تحليل ودراسة هذه المصادر بحسب النسخة الماسورية الحالية، ثم اقتطاعها وإعادتها إلى زمانها وعصرها الابتدائي، وتنقية كل مصدر من الإضافات الثانوية، وذلك باستقصاء كل مصدر إلى تاريخ كتابته وإسهاماته في تاريخ بني إسرائيل، وقد رصد Ilgen 17 وثيقة مختلفة، ترجع كلها إلى ثلاث كُتّاب اثنان منها إلهيمية وواحد يهوي⁽²⁾ كما وجد Ilgen أن الوثيقة اليهودية مجموعة أدبية واحدة، غير أن الوثيقة الإلهيمية تتضمن مصدرين مختلفين ليس بينهما تطابق إلا في اسم الألوهية، ويوجد بينهما في الواقع اختلاف ديني وأدبي، وأطلق على الأول منها اسم الوثيقة اليهودية، والمصدران الأخران الإلهيمي الأول (و هو نفسه المعروف الآن بالمصدر الكهنوتي)، والإلهيمي الثاني (وهو الذي يعرف في نظرية المصادر الحديثة بالمصدر اللاهيمي)، كما وجد أن الإلهيمي الأول يبتعد عن اليهودي في مضمونه وصورته، بينما يقترب الإلهيمي الثاني من اليهودي بالرغم من اختلاف الأسماء⁽³⁾

وبعد أن قسم Ilgen سفر التكوين الى 17 قطعة مختلفة، جعل عشر قطع منها تدخل في نطاق المصدر الإلهيمي الأول، وخمس قطع في نطاق المصدر الإلهيمي الثاني، وجزآن للمصدر اليهودي، وعند تركيب السفر وضع المصدر الإلهيمي الأول، وعلى أساسه نشأت بعد ذلك وبمثابة

(١)- شارزا زلمان : تاريخ نقد العهد القديم ، 106-107.

(2)- J.Breind: Lecture Du Pentateuque et Hypothèse Documentaire, Le Pentateuque Débats et recherches (Paris: Handebert , 1992),p 32.

(2)- Lods: Histoire De La Littérature Hébraïque Et Juive, Depuis Les Origines Jusqu'à La Ruine De L'Etat Juif , p96 و J.Breind: Lecture Du Pentateuque et Hypothèse Documentaire Le Pentateuque Débats et recherches),p 35.

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتأخ - د- أسهمان بوعيشة

طبقات مميزة ببقية أجزاء المصدرين، واقتصر عمل مؤلف سفر التكوين على تبويب تلك الأجزاء وضمها سويا، ولا يزال Ilgen داخل نظرية المصادر وتوصل إلى أن السبع عشرة التي أحصاها لم ينظر إليها على أنها سبعة عشر مصدرا مختلفا، بل بمثابة أجزاء لثلاث مجموعات استخدمت بأكملها كمصادر لمؤلف التوراة، وبما أن معايير التمييز بين تلك القطع لم تكن واحدة بصورة أكيدة عند Ilgen، فقد ميز بينهم على أساس الحجم وقوة ترجيح رأيه فحسب. (1)

وقدم Ilgen لهذا الرأي أمثلة عدة منها هذا المثال: فمن المصدر الإلهيمي ل Astruc فالرواية الخاصة بإبراهيم v وأبيمالك في جرار (التكوين 20)، والقطعة الموازية لها في المصدر اليهودي بشأن إسحاق v وأبيمالك في جرار (التكوين 26)، فأبيمالك هو نفسه في القصتين وكذلك جرار، غير أنه في القصة الأولى ذكر إبراهيم v وفي القصة الثانية ذكر إسحاق v، كما لا يوجد أي تطابق في التفاصيل، ففي القصة الأولى تحدث الرب لأبيمالك في الحلم وحذره من الاقتراب من سارة، وفي الثانية: رأى مداعبة إسحاق v لرفقة فعرف أنها زوجته تك 8/26، ومع ذلك لا يوجد بينهما اختلاف أدبي وجوهري باستثناء اختلاف اسم الألوهية (2).

الفرع الخامس: نظرية De Wette

بعد Ilgen استقر أغلب النقاد على نظرية المصادر التي تُوّجت بالمصادر D, J, E, E2, E1، ويعود الفضل لـ De Wette الذي حدد المصدر D (التثنوي) المشار إليه في إصلاحات يوشيا كما جاء في الاصحاحين 2 مل 22-23⁽³⁾ وهكذا تمكن De Wette من إحداث انعطاف في مجال دراسة التأخ وبحوثه عن تاريخ إسرائيل، حيث كان أول من حدد رابط بين مصدر من مصادر التوراة وحدث معين من تاريخ إسرائيل، فبحسب بحوثه اعتقد أن كتاب القانون الذي اكتشف في عصر يوشيا سنة 621 ق.م أثناء إعادة ترميم الهيكل بحسب القصة الواردة في (2 مل 22-23) لم يكن سوى كتاب سفر التثنية، مما يعني أن سفر التثنية يؤرخ له بعصر يوشيا وإصلاحاته الدينية، وهكذا وجد De

(1)- شاراز زالمان: تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ص 110-111.

(2)- المرجع نفسه، ص 110.

(3)- Ronald E. Clements: One HUNDRED YEARS OF OLD TESTAMENT INTERPRETATION 2008, p 9.

Wette نص ديني ووثيقة مستقلة معلومة التاريخ حسب نظريته، يمكن الانطلاق منها لتحديد باقي التواريخ والأزمنة التي ألفت فيها باقي المصادر (1).

إلى جانب ذلك لاحظ تداخل المصدر اليهودي واللاهوتي والكهنوتي بالتناوب وباستمرار في الأسفار الأربعة الأولى من أسفار التوراة الخمسة، وبالمقابل كان من الصعب العثور على تتابع وامتداد لهم في سفر التثنية (باستثناء بعض الفقرات في نهاية السفر)، فقد كتب سفر التثنية كله بأسلوب مختلف تماما عن الأسفار الأربعة الأولى، كما يختلف المعجم اللغوي الخاص به وكذلك التعبيرات والجمال، ويوجد بالسفر تكرار لأجزاء كاملة من الأسفار الأربعة الأولى لكن هناك تناقض شديد في التفاصيل بين هذا وذاك، حتى القسم الخاص بالوصايا العشر مختلف عن الوصايا في سفر الخروج، ويبدو سفر التثنية مستقل بذاته وهو يعد وحده مصدرا رابعا وهو ما يسمى بالمصدر التثنوي (2).

كما أَرخ De Wette للأسفار الأربعة الأولى من التوراة بعصر سليمان ١٠، ولم يستبعد أن يكون سفر يشوع أُلّف في نفس العصر، في حين رأى أن تأليف سفري القضاة وصموئيل جرى في عصر متأخر، وتم إكمال التوراة بإلحاق سفر التثنية إليه في زمن يوشيا، وأثناء الأسر البابلي استمر الأدب العبري في التطور، فكتب عزرا ونحميا نبوءات الأنبياء والأغاني الشعرية، وعلى الأرجح أُجريت اللمسات الأخيرة على التوراة وباقي الأسفار النبوية أي أسفار الإنياتوك في هذا العصر (3).

فالتقسيم الكلاسيكي لنظرية المصادر حول التوراة انتهت إلى تقسيمه إلى أربعة مصادر رئيسية وهي: ج (9 ق م) و E (8 ق م)، و D (7 ق م)، و P (فترة الأسر أو ما بعد الأسر) مع الاختلاف بين العلماء في تحديد عصر كتابة هذه المصادر بكل دقة، ورغم الدراسات والنقاشات المحتملة بين العلماء حول تحديد تواريخ المصادر وكتّابها وما إلى ذلك، فقد ظل الأسلوب بين طبقات الكتابة هو المعيار الأساسي لمعرفة التمايز بين هذه المصادر، ويُفضل Moore الحديث عن المصدرين الأقدم J و E الذي ينتمي إليه أغلب héxateuque كمصدرين متأثرين بالشعر والنثر القديم منذ عصر

1- (Edité par Albert De Pury: le pentateuque en question , p 21.)

(2)- ريتشارد إلبوت فريدمان: من كتب التوراة، ص 46-47.

(1)- W.M.L.De Wette: critical and Historical Introduction to The canonical scripture of The old testament ,T1,P .293

القضاة، دون أن يكون للمصدرين الباقيين (D.P) تأثير يُذكر إلا في بعض المقاطع، في حين يُعتقد أنه تم تحرير سفرَي التثنية ويشوع من طرف محرر تنثوي وليس محرر نهائي⁽¹⁾. وفي هذه المرحلة أصبح الحديث مطلق بشأن أربعة مصادر متميزة يمثل التنثوي أحدهما ونشر زمن الملك يوشيا، غير أن هذه النتيجة بشأن المصادر الأربعة الأساسية باقية على ما هي عليه، فأسماءها تتغير وحجمها يتبدل غير أن هذه النتيجة تبقى في جوهرها بمثابة قاعدة ثابتة في بحث العهد القديم حتى عصرنا، وبما أن زمن تأليف المصدر التنثوي قد اتضح بالفعل فقد سحنت الفرصة مرة ثانية للتمسك به بمثابة أساس ثابت للانطلاق منه بواسطة المقارنة والمطابقة للبحث بشأن تشكل بقية المصادر وتحديد زمنها⁽²⁾.

المطلب الثاني: نظرية المصادر الحديثة New Hypothesis Documentary

الفرع الأول: نظرية Hupfeld

في 1853م كتب Hupfeld كتابا قيما عن مصادر سفر التكوين أراد أن يبين فيه أمرين وهما: *صلاحية نظرية المصادر في التعرف على كيفية ظهور التوراة على حساب نظريتي الأجزاء والتكملة.

*حدد مصدرين في الإلهيمي أحدهما قديم وآخر حديث.

ورأى Hupfeld أن هناك ثلاث مصادر لسفر التكوين ترتب زمنيا على النحو التالي:

*الإلهيمي القديم (و هو ما يُعرف الآن بالمصدر الكهنوتي (P)

*الإلهيمي الأحدث (و هو الإلهيمي المعروف في نظرية المصادر الكلاسيكية (E)

*اليهوي (J)⁽³⁾.

الفرع الثاني: نظرية Reihm

1_ (Frank Moore Cross: Canaanite Myth and Hebrew Epic, p277)

(2) - شازار زلمان: تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ص 129.

3_ (Jean -Loius Ska: Introduction a la lecture Du Pentateuque, p 155)

ثم تعرض هذا الترتيب للتغيير فيما بعد على يد العلماء والدارسين حيث توصل Reihm بعد سنة من نظرية Hupfeld إلى فصل سفر التثنية عن التوراة، وعده مصدرا مستقلا، وبذلك يصبح ترتيب المصادر الأربعة الرئيسية تاريخيا كالآتي D, J, E1, E2, J⁽¹⁾.

الفرع الثالث: نظرية Graf

وبفضل بحوث Hupfeld لسنة 1853 م و E. Riehm لسنة 1854 م توصل J. Graf في 1860م إلى تحديد أربعة مصادر وهي J, E, D, P، وقبل فيما بعد Wellhausen هذا الترتيب وفق نظرية المصادر الحديثة واعتبرها مؤسّسة للعهد القديم⁽²⁾.

وفي عام 1866 أكد Graf أن المصدر E الذي أطلق عليه فيما بعد المصدر P بواسطة العلماء المعاصرين، هو آخر المصادر بدلا من أن يكون أول المصادر فيكون ترتيب المصادر هو J, D, P (E), J, E2 والأصوب في الترتيب تاريخيا هو J, E, D, P⁽³⁾.

إن محاولات Graf للوقوف على تطور مصادر أسفار التوراة الخمسة جعلت الغالبية العظمى لشرائح التوراة ومعظمها من القصص، لم تكن إلا جزءا من الحياة اليومية في عصر موسى دون أن يكون له دور في ترتيبها و كتابتها، كما لم تكتب في عصر ملوك وأنبياء إسرائيل، و يبدو أن من كتبها شخص عاش في نهاية عصر العهد القديم، و قد اختلفت الردود حول هذه الآراء وكان السليبي منها من جانب الدارسين الكلاسيكيين والنقاد على حد سواء حتى De Wette رفض قبول الافتراض القائل بأن معظم شريعة العهد القديم كتبت في فترة متأخرة، وأشار الباحثون أنه وفقا لهذا الافتراض فلقد عاش بنو إسرائيل بدون تشريع طيلة ست مئة سنة، و هو ما لم يستسغه معظم الباحثين، و على الرغم من ذلك فإن أبحاث ونظريات Graf ظلت مهيمنة على مجال بحث العهد القديم طيلة مائة عام⁽⁴⁾.

الفرع الرابع: نظرية Wellhausen

1_ (Ibid , p 155.

2_ (Corine Davidson :Prohibition Against Loans At Interest–a Pentateuchal problem, p4–

5.

(3) – صموئيل يوسف: المدخل إلى العهد القديم، ص 74.

(4) – ريتشارد البيوت فريدمان: من كتب التوراة، ص 23.

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتأخ ————— د- أسمهان بوعيشة

تمحورت الدراسة النقدية في القرن التاسع عشر حول مصادر التوراة وهيكله على حساب باقي الأسفار ومنها الأنبياء، غير أن Wellhausen كان يرى في أسفار الأنبياء الأوائل مؤسسي العقيدة الإسرائيلية ومؤسسي عقيدة التوحيد⁽¹⁾.

وأنَّ الأسفار الأربعة من التكوين حتى العدد تعود للمصدرين J و E، و تم تحريرهما في عصر الملكية ما بين 850 و 750 ق.م بالإضافة للمصدر D الذي ظهر في القرن 7 ق.م، ثم ظهر المصدر P حوالي 450 ق.م كتطور و تقليد موازي ل J و E.⁽²⁾

ولقد استخدم أعمال سابقيه وأضاف إليها أبحاثا ودراسات، و وافق Wellhausen على استنتاج Vatck حول تطور ديانة إسرائيل في ثلاث مراحل، كما وافق Graf الذي قال أن النصوص المختلفة كتبت في الأساس في ثلاث عصور منفصلة، وهكذا وببساطة دمج الاستنتاجين معا، كما درس قصص العهد القديم والشرائع التي ظهرت في المصدر اليهودي والإلهيمي، وذكر أن هذين المصدرين يعكسان حياة ديانة بني إسرائيل في المرحلة الطبيعية، وقال أن القصص والشرائع في سفر التثنية تعكس حياة المرحلة الروحية والأخلاقية في ديانة إسرائيل، كما حدد أيضا أن المصدر الكهنوتي يدفعه تطور المرحلة الكهنوتية التشريعية، ، وأضاف لذلك دراسة الوسيلة التي عكس فيها كل مصدر رؤية مختلفة للديانة (كيف كانت مكانة رجال الدين فيه -أنواع القرابين -أماكن العبادة)، كما درس الأجزاء التشريعية والأجزاء القصصية في أسفار موسى الخمسة، وفي كل أسفار النبوة والتاريخ في العهد القديم وقد كان عمله منطقيا وواضحا وحظي بانتشار واسع، كان أساس عمله ثابتا لأنه لم يكن فيه مجرد تقسيم للمصادر ووفقا للمعايير العادية (الأزواج في أسماء الألوهية ، التناقض، وغيرهما)، فقد ربط نصوص مصدر العهد القديم في إطار تاريخي وكانت النتائج قاعدة قوية لتطور البحث، وبهذا أعطى نموذج Wellhausen الإجابة الأولى عن تعدد مصادر العهد القديم؟⁽³⁾

1_(Ronald E. Clements: One HUNDRED YEARS OF OLD TESTAMENT INTERPRETATION2008 ,p51

2_(Eugene H.Merril ,Mark E.Rooker, Michael A. Grusanti: The Word And The Word An Introduction To The Old Testament,p89.

(3)- ريتشارد إليوت فريدمان: من كتب التوراة، ص 24، 26.

وتحول بحث العهد القديم إلى مجال مقبول عندما انتقل إلى مجال "تخمين المصادر"، وهو الأسلوب السائد في حقل البحث في الدوائر العلمية والبحثية، وفي مقابل ذلك يصعب اليوم العثور في العالم الغربي على باحث للعهد القديم يشتغل في هذه الموضوعات يقول أن أسفار التوراة كتبها موسى أو مؤلف واحد، بل يناقش الدارسون إشكاليات عديدة حول عدد المؤلفين الذين كتبوا هذا السفر أو ذاك، ويبحثون الزمن الذي تم فيه تدوين المصادر المختلفة ويهتمون بمسألة إلى أي مصادر تنتمي هذه الفقرة أو غيرها ؟ ويعربون عن درجات مختلفة من الارتياح أو الشك حول القدرة على استخدام تخمين المصادر كحل للمشاكل الأدبية أو التاريخية، أما عن الأدوات الحديثة وأساليب البحث الجديدة فقد أدت في عصرنا هذا إلى ظهور اكتشافات كثيرة كأساليب التحليل اللغوي وعلم الآثار، الأمر الذي أدى إلى اكتشافات مهمة لها دور كبير في مجال البحث المرتبط بمؤلفي العهد القديم⁽¹⁾. فقد عبر Gunkel عن قناعته التامة بتأثر العهد القديم بمحيط الشرق القديم خاصة مصر وبلاد الرافدين، بل اعتبر المصادر الأربعة للتوراة متأخرة عن تاريخ إسرائيل القديم الذي دون شك نجده في الوسط والمحيط الحضاري الذي وجدت فيه⁽²⁾.

والعنصر الأساسي في الدراسة التاريخية التي تعبر عنه فرضية Wellhausen هو أن هذه المصادر الأربعة للأسفار الخمسة يجب فهمها على أنها وثائق أدبية تم تأليفها وقت كتابتها، ولذلك فهي كمواضع مؤلفة تعكس فهم ومعرفة مؤلفيها وعالمهم هذا الافتراض أدى إلى نتيجة مزعجة مفادها أنه لا يمكن أن تحصل منها على أي شيء تاريخي يعتمد عليه في تاريخ إسرائيل، وبناء عليه فإن إمكانية الاستفادة من الأسفار الخمسة الأولى لإعادة تشكيل تاريخ إسرائيل القديم السابق على وقت تأليفها قد انقضت تماما⁽³⁾.

وقد رفض Wellhausen ومدرسته تاريخية الوصايا العشر واعتبرها نتاج مدرسة الأنبياء في نهاية الفترة الملكية أو ما بعد فترة الأسر، وأرجعها البعض إلى تلاميذ أشعيا، وتعود الوصايا إلى المصدرين الإلهيمي والكهنوتي، إلا أنها في شكلها الحالي لا تعود بأي حال من الأحوال إلى موسى^٥

(1) - ريتشارد إلبوت فريدمان: من كتب التوراة، ص 24، 26.

(4) - Ronald E. Clements: One HUNDRED YEARS OF OLD TESTAMENT, p 12-15

(3) - توماس ل. طومسن: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ص 10.

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتأخ ————— د- أسمهان بوعيشة

بل إلى زمن متأخر ، كما أن هذه الوصايا من المحتمل أنها كانت تتلى عند الدخول لمعابد يهو (خروج 1-2/20)، وعند تلاوة ترانيم الاحتفالات بتجديد العهد بين الله وشعب إسرائيل (تثنية 9/31) (1).

وهكذا يعتقد كثير من النقاد أن الكتب الأربعة الأولى من التوراة (تكوين، خروج، لاويين، عدد) في شكلها الحالي هي نتاج مزج طويل المدى لمجموعة من التقاليد المتعددة، وأن المحررون الكهنة هم من أعطوا لهاته الكتب صورتها الحالية أثناء السبي البابلي، بالحفاظ على جميع التقاليد مع محاولة تقادي التناقض الظاهر بينهم، كما يذهب البعض إلى أن السفر الأخير من التوراة أي التثنية يشترك في نظريته ورؤيته للتاريخ مع نظرة سفر القضاة وصموئيل والملوك، على عكس الأسفار الأربعة التي تشترك فيما بينها في اللغة والأسلوب والأهداف وتعود كلها إلى المصادر J، E، و P، J، ويبرز المصدر J في تكوين 5/2، وفي تك 15 (2) و لكنه مع هذا يلتقي مع المصدر E، كذلك يميل أغلب النقاد إلى اعتبار E كمصدر مُراجع ل J، لأنه من الصعب في بعض الحالات التمييز بين المصدرين J و E، أما المصدر P ويبرز أسلوبه وأهدافه خاصة في سفر التكوين 1/1-4/2. (3)

من خلال عرض نظرية المصادر وتطورها نصل إلى أن هذه النظرية تقوم على الأسس التالية:

-اختلاف أسماء الألوهية

-اختلاف اللغة والأسلوب

-الازدواج والتكرار

-الإشارات المركبة داخل الأصحاح. (4)

المطلب الثالث: مراجعة نظرية المصادر

(1) _ P. Van Imschoot: Théologie de l'ancien Testament, t2, pp83-84

(2) - يؤيد صعوبة فصل المصدر البهوي والالوهيمي عن بعض الاصحاحات ما جاء في هامش جمعيات الكتاب المقدس أن هذا الاصحاح رواية يهوية وربما أدمجت فيها أولاً آثار التقليد الالوهيمي، ص 89.

3 _ R. Davidson: Genesis 1-11, (USA: Cambridge University press, 1977), pp 5-6

(4) - أحمد هويدي: روايتا الخلق والطوفان في التوراة-دراسة في ضوء نظرية مصادر التوراة الحالية، ص 8.

من المدافعين المعاصرين عن نظرية المصادر Nicholson, John Emerton, Joseph Freidman و Blenkinsopp, كما أجروا عليها الكثير من التعديل و المراجعة والتطوير مقارنة بما كانت عليه في القرن 19 م⁽¹⁾.

الفرع الأول: نظرية Von Rad (1901-1971م)

آمن Von Rad أن أسفار التوراة الخمسة بالإضافة لسفر يشوع يُشكل وحدة واحدة وهو ما يُعرف ب Hexateuque، ورأى أن هذه الأسفار حررها محرر نهائي معتمدا مصادره الخاصة، وأن التقسيم اليهودي بفصل أسفار التوراة عن يشوع تقسيم متأخر، ورغم هذا لم تختفي الوحدة الأدبية بين الأسفار الستة، لذلك دعا إلى وجود وحدة بين هاتين الأسفار تبدأ بقصة الخلق وتنتهي بالدخول البطولي ليشوع لأرض كنعان، وعلى المستوى الأدبي كان تركيز الدارسين على هذا العمل الضخم من حيث تشكُّله عبر مصادر متعددة، لكنه تم التغاضي وإهمال الروابط الرئيسية التي تجمع بين مفاصل أسفار Hexateuque⁽²⁾.

كما عارض التأريخ للمصادر التي قدمها Wellhausen، حيث لاحظ وجود تقاليد أقدم خلف النص التنتوي، وفي 1933 ركز دراسته على بناء و لاهوت المصدر الكهنوتي ليثبت أن هذا المصدر اعتمد أساسا في كتابته على مصدرين قديمين ساهما Pa و Pb، وفي دراسة أخرى له سنة 1938م⁽³⁾ رأى أن الموضوع الرئيسي ل Hexateuque أن الله خلق الكون، وكلم الآباء، وأعطاهم وعده في أرض الآباء، وأخرج إسرائيل من مصر وقادها عبر معجزاته الباهرة إلى الأرض المقدسة بزعامة يشوع، وبالنظر إلى Hexateuque نلمح وجود نصوص طويلة تلفت الانتباه مثل (تث 5/26-9)، تث 20/6-24 ويشوع 24/2-13 فهذه الفقرات دون شك تعود إلى تاريخ أقدم وهو المحيط القديم العام الذي ظهرت فيه إسرائيل، فهناك اتفاق بين الدارسين على استقلالية هذا النصوص بسبب

1_ (James K. Hoffmeir: Ancient Israel In Sinai ,the evidence for the Authenticity of the Wilderness Tradition,P16.

2_ Gerhard Von Rad:La Genèse , Traduction DE Etienne De Peyer , (Genève: Labor Et Fides), P p24,9.

3_ (Ronald E. Clements: One HUNDRED YEARS OF OLD TESTAMENT INTERPRETATION2008 ,p 23

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتأخ ————— د- أسمهان بوعيشة

أسلوبها الواضح والمباشر الذي يعود لعصور قديمة، ويمكن اعتبار يش 2/24-13 ملخص ومختصر ل Hexateuque، وبالنظر إلى الأسفار الستة فرغم الإضافات المتكررة والمتعددة إلا أنه ظل يحتفظ بقاعدة قوية تُترجم حالة إيمان إسرائيل لم يستطع المحرر النهائي ل Hexateuque إخفاؤها، ويغلب المصدر ل على كل Hexateuque الذي تكون من تجميع لمواد أدبية موعلة في القدم تناقلها بنو إسرائيل مشافهة جيلا بعد جيل إلى أن تم جمعها في التحرير النهائي⁽¹⁾. مما يجعل كثير من طبقات التوراة حسبه تعود لعصر موسى و لتأريخ أقدم يرجع إلى عصر الآباء و ليس كما يعتقد Wellhausen أن ظهور هاته المصادر كان في فترات متأخرة جدا عن موسى .

وتتحدّر جميع هذه التقاليد التي شكلت المصدر ز من عناصر رئيسية ثلاث وهي:

أ/ تقاليد سيناء .

ب/ قصص الآباء .

ج/ بداية التاريخ⁽²⁾.

و Hexateuque في صورته الحالية نشأ على يد محرر قام بتصنيف التقاليد المتعددة، فقد تشكل خلال عصور متعددة وعلى يد مجموعة كبيرة من الكتاب ومن تقاليد ولاهوت متنوع، حيث أن كل هذه العناصر والأسباب ساهمت في إخراج هذا العمل الأدبي⁽³⁾.

الفرع الثاني: Gary Rendsburg (ولد سنة 1954م)

يدعو Gary Rendsburg إلى ضرورة مراجعة نظرية المصادر لأنه بقراءة تك 28/11-32 على سبيل المثال يتحدث كاتب هذه الفقرات عن أصول إبراهيم و أبويه وتاريخه، وهو دون شك يعتمد مصادر أقدم لهذه القصة، التي يصنفها دارسو العهد القديم على أنها أقدم المصادر وهو المصدر اليهودي، ومما لا شك فيه أن لبني إسرائيل مصادر أقدم تعود الى عصر الآباء وتجسد حياتهم.⁽⁴⁾ و دعا لتأريخ المصدر p بفترة كتابة المصدرين ل، E أي عصر داود و، كما وجد أنه ضمن الأدب

1_ (Ibid , P10-13.

2_ (Ibid, P15.

3_ (Ibid , P22-23.

(2)- Edited by: Fredederick E. Greenspahn: The Hebrew Bible New Insights and ScholarShip, Gary Rendsburg: Down With History up with reading, , p5.

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتأخ ————— د- أسمهان بوعيشة

النسبي للقرن السابع والثامن عند الإشارة للخلق (مثال ذلك: ارميا 23/4-26⁽¹⁾)، صنفيا 2/1-3⁽²⁾ وهو شع 3/4⁽³⁾ صدى لكلمات سفر التكوين ذات المصدر P الذي يؤرخ Wellhausen له بالقرن الخامس⁽⁴⁾ ويجسد رأي Rendsburg توجهات المدرسة الإسرائيلية على العموم التي تميل إلى جعل المصدر P مصدرا قديما، حيث أكد بعض أعمدة المدرسة الاسرائيلية أمثال، M.Haran, Hurvitz. J. M.Weinfeld Milgrom من خلال دراسات عدة أن المصدر P ليس أحدث المصادر بل هو قريب من عصر المصدر J، كما أعاد Van Seters النظر في تقسيمات مصادر التوراة بالاعتماد على أسماء الألوهية، ورأى بعض الدارسين أن بعض القصص في التوراة ذات مصادر قديمة لكن تحريرها يعود لتاريخ متأخر⁽⁵⁾.

الفرع الثالث: R.Davidson

وجد Davidson أن هناك نقطتين هامتين لإعادة النظر في نظرية المصادر وهما:

1- أن في P أحدث المصادر عناصر قديمة خاصة فيما يتعلق بوصف الطقوس الدينية، كما أن تحديد المصدر J على أنه أقدم المصادر لا يعني أنه المصدر البدئي والساذج للفكر البشري، لأنه بالقراءة لقصة عدن في سفر التكوين 2 و3 -و التي صنفها النقاد من المصدر J - نلاحظ أنها لا تتميز فقط بالأدب الراقي بل أيضا بالفكر العميق.

2- أن المصادر J، E، P لا ينبغي أن ينظر لها على أنها مصادر مستقلة وحرّة، بل على أنها مصادر ورثت المخزون الثقافي لمحيطها الحضاري، كما أنها تخدم الوضع الديني والتاريخي لأمتها، ومعنى هذا أن جميع هذه المصادر تشترك في تقاليد دينية أقدم من بني إسرائيل، وتنتضح هذه

(1)- نظرت إلى الأرض وإذا هي خربة وخالية، وإلى السموات فلا نور لها، نظرت إلى الجبال وإذا هي ترتجف، وكل الأكام تقلقت".

(2)- "تزعأ أنزع الكل عن وجه الأرض، يقول الرب. أنزع الإنسان والحيوان، أنزع طيور السماء وسمك البحر، والمعائر مع الأشرار، وأقطع الإنسان عن وجه الأرض، يقول الرب". و يعلق الكتاب المقدس الدراسي، ص2181 على هذه الآية بأن صنفيا يتحدث عن الكارثة المقبلة بلغة تذكر بكلمات تك 7/6..

(3)- "لذلك تنوح الأرض ويذبل كل من يسكن فيها مع حيوان البرية وطيور السماء، وأسمالك البحر أيضا تنتزع".

(2)-James K. Hoffmeier: Some thoughts on Genesis 1 and 2 egyptian cosmology,p 41..1982

)_5(Gordon J.Wenham: resent old testament, p25. s3.amazonaws.com

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتأخ ————— د- أسمهان بوعيشة

الفكرة في سفر التكوين 1/6-4 عن زواج أبناء الله ببنات الناس، حيث تُظهر اطلاع بنو إسرائيل على مصادر دينية ميثولوجية ، وهكذا توصل R.Davidson إلى أن سفر التكوين احتفظ بكثير من التقاليد والقصص الديني للشعوب القديمة إلى جانب التقليد التاريخي الإسرائيلي⁽¹⁾.

و لذلك ألحق R.Davidson المصدر P بفترة ما قبل السبي عكس ما ذهب إليه Wellhausen ومدرسته ، بالاعتماد على العناصر اللسانية والنحوية لهذا المصدر⁽²⁾.

الفرع الرابع: Holladay

توصل Holladay أن كلمات المصدر L و P التي يصنف النقاد تأليفها في المملكة الجنوبية حول الخلق موجودة في ارميا 23/4، 25، و ارميا ينحدر من القبائل الشمالية ثم أعلن فيما بعد ولاءه للملكة الجنوبية، مما يؤكد حسبه اطلاع ارميا على روايات المصدر P ذات الأصول الجنوبية ، وهو ما يؤيد فكرة أن التقليد P كان منتشرا وشائعا في عصر هؤلاء الأنبياء⁽³⁾.

الفرع الخامس: Joseph Blenkinsopp

يمكن رصد بعض مشاكل نظرية المصادر حسب Blenkinsopp من خلال إعطاء نموذج متعلق بقصة الطوفان من خلال سفر التكوين 6-8 والتي تنتمي للمصدرين L و P كما يلي:
1/مقاطع P في القصة متماسكة ومنطقية، في حين تفتقد نفس القصة في مصدرها لهذه المواصفات.

2/ السرد القصصي ل P متمسق ومتناغم ومنظم على عكس المصدر L.

3/ الحجج المتعلقة بتاريخ مواد المصدر L كمصدر قديم مثلما قدمها عالم الكتاب المقدس Otto Eissfeldt والتي يمكن تلخيصها في التركيز على الحياة الزراعية، والسلطة السياسية، والحالة الوطنية، هي معايير لا يمكن تحقيقها وتوفرها في تلك 1-11 رغم تصنيف بعض فقراته باليهوي، فإن مواضيعه تتمحور حول لعنة البشر، والخروج من جنة عدن، والطوفان، ولا علاقة له بالحياة الزراعية أو غيره.⁽⁴⁾

1- (R. Davidson:Genesis 1-11,(USA: Cambridge University press,1977), pp.6-7)

2-(James K. Hoffmeier: Some thoughts on Genesis 1 and 2 egyptian cosmology,p 41

(1)-Ibid , 41.

(1)- Ibid ,p7- 8.

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتأخ ————— د- أسمهان بوعيشة

والحقيقة فإن النقاد يتفقون على معايير لتحديد المصادر إلا أنه رغم ذلك هناك بعض الاختلافات في تصنيف بعض الفقرات، كما أن هناك بعض المقاطع لم تحدد بعد مصادرهما مثال ذلك تك 14 (1).

4/ لاحظ بعض النقاد أن بعض المقاطع المصنفة على أنها زكصصة جنة عدن (تك 4/2 و24/3) ومقدمة قصة الطوفان (تك 5/6-8) لها ملامح عصر ما بعد الأسر، كما أن هذه المقاطع اليهودية في تك 1-11 تستخدم لغة ومصطلحات أدب الحكمة لسفر الأمثال وأيوب والذي ظهر متأخراً مقارنة بالأدب الديني العبري، ومن أمثلة ذلك شجرة الحياة الواردة في (تك 22/3، 24) حيث نجد ما يقابلها في (أمتا 18/3)، ووصف الضباب الذي يصعد من الأرض ويسقيها (تك 6/2) استخدم أيضاً في (أي 27/36).⁽²⁾

رغم ما يراه Blenkinsopp من أن لغة بعض المقاطع من اليهودي تلتقي مع بعض الآيات من الأدبيات العبرية المتأخرة كسفر الأمثال وأيوب، فإن هذا لا يعد دليلاً على أن اليهودي أخذ عنها، بل قد يكون أدب الحكمة هو من تأثر بلغة ومواد المصدر ل، كما أن سفر الأمثال حسب أغلب الدارسين والنقاد متأثر بأدب الحكمة المصرية القديمة.

5/ حسب نظرية المصادر فإن كاتب أو مجموعة من الكتبة الكهنوتيين أخذوا وحرروا وطوروا مواد أولية لتأليف التوراة، فإذا كان المحرر النهائي الكهنوتي هو المسؤول عن التحرير النهائي للنص، فلما يحتفظ بقصة الحيوانات الواردة في قصة الطوفان (تك 19/6-20) ؟، دون التمييز بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة الذي لم تُحدد إلا في عصر موسى (لا 11)، كما أن P يستخدم الاسم المقدس يهوه، وكما هو معلوم فإن الله لم يعلن عن نفسه بهذا الاسم إلا من خلال موسى (خر 2/6-3)، فلما يحتفظ المحرر P بصيغة أخرى لاسم الله "إيلوهيم"؟، وهل يُعقل أن يحتفظ المحرر الكهنوتي بنص يُدين هارون في قصة عبادة العجل (خر 32) ؟ وهو النسل الذي تنحدر منه طبقة الكهنوت، ولذلك يعتقد Blenkinsopp أن هناك حركة تحريرية متأخرة للنص قامت بعملية صياغة نهائية تبتدأ

(1) - جمعيات الكتاب المقدس في المشرق، ص 87.

(3) - Joseph Blenkinsopp: The Documentary Hypothesis in Trouble, p 8.

بقصة البدايات الأولى للبشرية حتى نهاية الملكية و تشمل أسفار الإنياتوك بإشراف كهنوتي مع اعتمادها مواد سردية متعددة⁽¹⁾.

خلاصة ما سبق فإن طبقة الكهنة صاحبة المصدر P عملت على التحرير النهائي للتوراة، إلا أنها اعتمدت بالإضافة إلى موادها الخاصة مصادر أخرى تعود لشعب إسرائيل (E, J, D)، بالإضافة إلى المصادر الدينية للأمم الشرقية القديمة.

وقد اعترض الأرثوذكس و المحافظون من اليهود و المسيحيين على نظرية المصادر كونها ترفض كل التفسيرات و التأويلات اللاهوتية، كما لا تعترف بالأسفار الدينية ككتب مقدسة، و ترفض التفسيرات الإعجازية و المخالفة للقوانين الطبيعية و المادية، و لا تؤمن سوى بالحقائق العلمية و التاريخية .

المبحث الثاني: نظرية الأجزاء Fragment Hypothesis

رغم سيادة نظرية المصادر في مجال الدراسات النقدية للتوراة وباقي الأسفار، اقترح البعض أن التوراة تشكلت من أجزاء متعددة وهو ما يعرف بنظرية الأجزاء، في حين اقترح البعض نظرية التكملة ويُقصد بها أن التوراة تشكلت من مصدر رئيس ثم ألحقت به فيما بعد مصادر أخرى⁽²⁾.

وتنطلق نظرية الأجزاء من حقائق ثابتة وهي أن داخل المصدرين الإلهيمي واليهوي، اختلاف في الأسلوب وتباعد وتكرار وتناقض في مواضع عدة، وقد لاحظ Ilgen هذا الأمر من قبل، وهو نفس ما يقول به النقاد في الوقت الحالي، حيث توصل الجميع إلى أن المصادر: اليهوي، الإلهيمي، والكهنوتي تكونت من عناصر قديمة ومتراكمة دون أدنى دقة، وهو ما يفرض بالضرورة التساؤل التالي: هل جُمعت هذه المصادر الأولية في مصادر كبرى؟ أو هي التي تعرف اليهوي، الإلهيمي والكهنوتي، أو أن التوراة جمع بشكل مباشر من تراكم مجموعة مختلفة من الكتابات بمعنى أجزاء صغيرة؟ بحيث كل جزء يحوي حدث منعزل وهو ما ذهب إليه أصحاب نظرية الأجزاء، وقد عُرِضت هذه النظرية لأول مرة على يد الكاهن الكاثوليكي Geddes⁽³⁾.

_1(Ibid,p8

_2(Duane Garrett: The Undead Hypothesis ,Why the Documentary Hypothesis is the Frankenstein of Biblical Studies,p29. www.biblearchaeology.org

_3(Lods : Histoire De La Littérature Hébraïque Et Juive, ,p96-97

الفرع الأول: نظرية Geddes

نظرا للصعوبات التي عانتها نظرية المصادر في بداياتها، وهذا بعد استحالة العثور على مصادر موازية خارج سفر التكوين خاصة فيما يتعلق بالأجزاء التشريعية من التوراة، فظهر الكاهن الكاثوليكي Geddes والألماني Vater ليستبعدا الحديث عن مصادر مستقلة ومستمرة، ويطرحان نظرية توفر مجموعة كبيرة من المصادر وهي بمثابة أجزاء لا رابط بينها، واقترح Geddes أن هذه الأجزاء قام بجمعها حلقتين مختلفتين من المحررين من جامعي التوراة، حلقة إلهيمية وأخرى يهوية⁽¹⁾. وفي سنة 1792 أنكر Geddes نسبة التوراة لموسى ٧، وقال إنها كتبت في أرض كنعان في زمن سليمان ٧، وأن التأخ لم يصل إلينا في صورته الحالية الكاملة، إنما كان على شكل أجزاء متفرقة، ثم قام المحرّر بجمع الأجزاء المتفرقة ليؤلف بها الأسفار المقدسة في شكلها وترتيبها الحالي، كما قال بأن موسى ٧ استمد شريعته الشفوية من المصريين بعد تنقيحها لأن الله لم يكلمه، كما أنكر المعجزات الحسية التي أجراها الله على يد موسى ٧⁽²⁾.

الفرع الثاني: نظرية Vater

اكتسبت نظرية الأجزاء تشجيعا وقام أصحاب تلك المدرسة بتقسيم و تفتيت المصادر إلى درجة كبيرة ، و جاء Vater تلميذ Geddes و قسم سفر التكوين إلى تسعة وثلاثين قسما ، ولم يكتف بسفر التكوين بل انتقل إلى تفتيت بقية أسفار التوراة الأربعة ، وهكذا رأى أصحاب "نظرية الأجزاء" أن التوراة ليست سوى مجموع أجزاء منعزلة وعديدة منها الأجزاء الطويلة ومنها القصيرة بدون أن يكون هذا المجموع منسجما أو مرتبا تاريخيا، وطبقا لرأي Geddes و Vater و Hartman فإن الجامع المتأخر الذي عاش زمن السبي البابلي خشي أن يضيع من جماعة بني إسرائيل أي جزء قديم من ميراثهم الأدبي و الديني فقام بجمعه على شكل كتاب⁽³⁾.

و تأسيسا على ذلك فإن الوحدات النصية الكبيرة تألفت بتجميع وحدات صغيرة ،وأصدق مثال على هذا المبدأ قصص الآباء المؤسسين في سفر التكوين، فتمثل قصة إبراهيم سلسلة قصصية

19-18) (Edité par Albert De Pury: le pentateuque en question, p 18-19.)

(2)- حلمي القمص يعقوب: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، ج1.

(3)- شازار زالمان: تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ص 111.

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتأخ ————— د- أسمهان بوعيشة

واحدة، تصحبنا في رحلات إبراهيم V من الاصحاح 12 إلى قصة التضحية بابنه في الاصحاح 22، وهذه السلسلة القصصية هي أيضا قصة تتألف من عدة قصص أقصر لكل منها حبكة وشخصية مختلفة إبراهيم V خاص بها. (1)

كما رأى Vater أن الجزء القانوني هو أساس التوراة، حيث يتكون هذا الأخير من أجزاء قانونية مأخوذة من أوساط وحالات تاريخية مختلفة، وبالتالي لا ينتمي فقط للقانون الموسوي بل إلى مصادر متعددة، وأن نواة هذا القانون موجود في سفر التثنية الذي جُمع وحرر في عصر داوود و سليمان V، ثم أعيد اكتشافه وتحريه في زمن يوشيا، غير أن هذه النظرية لم تلقى صداها في الوسط العلمي بسبب فشلها عند تطبيقها على الأجزاء الروائية من التوراة، حيث لم تستطع تفسير التوازي والتقارب في بعض القطع المتفرقة من التوراة(2).

المبحث الثالث: نظرية التكملة The supplementary Hypothesis

الفرع الأول: نظرية Ewald

أمام عجز نظريتي المصادر والأجزاء في الإجابة عن كثير من الإشكالات النقدية لظهور التوراة وباقي الأسفار، حيث بلغت هاته الأخيرة في تقسيم التوراة إلى أجزاء متناثرة مما أدى إلى ظهور اتجاه معاكس نادى بالوحدة المتكاملة للتوراة، وهو ما جاءت به نظرية التكملة، وكان Ewald أول من نادى بها، خاصة بعد تمسك اللاهوتيين المحافظين بموسوية التوراة، ووقوفهم في وجه نظرية Vater عن الأجزاء، وتأكيدهم على ترابط جميع أجزاء التوراة(3).

فاقتراح Ewald أن يأخذ بعين الاعتبار الاستمرارية الروائية ما بين التوراة وسفر يشوع، فانطلاقا من هذه الأسفار الستة نجد أن هناك لُحمة روائية تبتدأ من بداية خلق العالم وتنتهي بالدخول إلى أرض كنعان، وهاته اللحمة والمصدر الرئيسي (Grandshift) يتميز باستخدام اسم إلهيم وهذا من خلال أسلوب محدد وتعبير أدبي مميز، ودون شك تحوي هذه اللحمة عناصر موعلة في القدم كالوصايا العشر (خر 2/17) وقانون العهد (خر 20/22-23، 19)، ولكن تبقى هذه اللحمة الإلهيمية

(1) - توماس ل. تومسون، أسفار العهد القديم في التاريخ اختلاق الماضي، ص 322.

(2) Edité par Albert De Pury: le pentateuque en question , p 18-19.

(3) (Lods: Histoire De La Littérature Hébraïque Et Juive, p 97-98..

المصدر هي العمود الفقري ل Exateuque، ثم يُكْمَل هذا المصدر الرئيس (اللحمة) بقطع متعددة من الوثيقة اليهودية،⁽¹⁾ بمعنى أن التوراة حرر انطلاقاً من الإلهيمي ومكملاً من اليهودي، وهو نفس الرأي الذي دافع عنه Renan في كتابه عن تاريخ اللغات السامية⁽²⁾.

وتعتبر الوثيقة الرئيسة الإلهيمية هي الوثيقة الكهنوتية في التقسيم الحالي، وأن محرر قام بتكملة النص النهائي بملحقات عن المصدر اليهودي في أواخر عصر مملكة يهوذا، وخلاصة نظرية التكملة تقوم على أن هناك وثيقة رئيسة أُلْحِقَتْ بها قطع وأجزاء من مصادر مختلفة في عصور متعددة.⁽³⁾ وظهرت هذه النظرية سنة 1838 م وما لبثت أن تُرِكَت من أغلب الدارسين سنة 1855 م، وخلال الفترة (1843- 1855 م) أصدر H.G.Ewald كتابه: "عن تاريخ إسرائيل" مؤكداً على وجود مصدرين فقط للتوراة هما المصدر الإلهيمي E والمصدر اليهودي J⁽⁴⁾.

وعلى عكس أصحاب نظرية الأجزاء التي فتت سفر التكوين، أظهر Ewald أن سفر التكوين لا يمكن أن يكون تأليفاً ميكانيكياً من مصادر متعددة فحسب، لأنه رغم كل ذلك نشعر بوحدة أدبية في مجموعته، وأن كل مادته الثرية والوفيرة تتخذ صورة أدبية واحدة⁽⁵⁾.

الفرع الثاني: نظرية Tuch

أخذ الألماني Tuch في تفسيره لسفر التكوين كلام Ewald وطوره وأضاف أن الوثيقة اليهودية لم تكن وثيقة مفقودة بل هي طبقة ووثيقة تحريرية، أي مكمل للمصدر الأساسي التي ذكره Ewald⁽⁶⁾. وسمى Tuch المصدر الإلهيمي باسم المصدر الأساسي، والمصدر اليهودي باسم المصدر المتمم أي المكمل، وطبقاً لأصحاب نظرية التكملة، فإن المؤلف الأول للمصدر الأساسي كان أحد الذين عاشوا في عصر شاوول، وأما المصدر المكمل المتأخر فقد عاش في عصر سليمان^(٧)، وبعد أن رسخ أصحاب هذه النظرية وحدة سفر التكوين وسفر التثنية حاولوا توسيع سيادة تلك النظرية على

(2)-Édité par Albert De Pury: le pentateuque en question, p 19.

_ 2(Lods: Histoire De La Littérature Hébraïque Et Juive, p 98.

(4)-Jean -Louis Ska: Introduction a la lecture Du Pentateuque, p 149.

(4)- حلمي القمص يعقوب: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، ج1.

(5)- شارازر زالمان: تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ص 122.

_6(Édité par Albert De Pury: le pentateuque en question, , p 19.

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتأخ - د- أسمهان بوعيشة

كل أسفار العهد القديم، ويجدوا فيها محرر واحد أعد وأكمل ونظم المادة الأساسية القديمة، بناء على أسلوب ديني معروف وثابت (1)

كما أيد وتبنى F.Bleek هذه النظرية في مؤلفاته (2) حيث جاء ليبسط نظرية Ewald ويشدد على هيمنة الإلهيمي، بالقول بأن المحرر الذي أتم وأضاف للمصدر الرئيسي -الإلهيمي - هو نفسه مؤلف تنمة المصدر اليهودي (3). كما كان Kuenen و Reuss من مؤيدي النظرية التكميلية على حساب نظرية المصادر (4).

و رغم ذلك لم يحقق الفكر النقدي الطمأنينة بسبب الثغرات الموجودة في الإلهيمي عند نظرية المصدر المكمل، وعلى أساس نظرية المصدر المكمل تضاءلت قيمة اليهودي بصفته مؤلفاً، ونسبت إلى المصدر المكمل وظيفتان جديدتان ومميزتان، هما: مهمة المحرر، ومهمة المكمل، وضخمو الوظيفة الأولى وطوروا في الثانية، وعلاوة على ذلك ابتعد أصحاب نظرية المصدر المكمل برأيهم عن أقوال الباحثين السابقين، الذين اضطروا لتقسيم المصدر الإلهيمي لمصدرين مثلاً فعل Ilgen، وتحدثوا عن "المصدر الأساسي" بمثابة مؤلف واحد كامل، كما لو كان كله قطعة متجانسة (5).

الخاتمة:

بعد هذا العرض المقتضب لأسس النظريات النقدية الغربية في العصر الحديث للتأخ نصل إلى:

* تقوم نظرية المصادر The Documents Hypothesis على أن للتوراة أربع مصادر روائية متفرقة ومنفصلة، حررت في فترات و أوساط مختلفة، ثم جُمعت من طرف محرر أو عدة محررين متأخرين، و قد استطاع أصحاب هذه النظرية الاستمرار في فرض أفكارهم لأن أغلب الدارسين في مجال النقد الكتابي يتحركون في إطارها مع التعديل و الإضافة كلما استدعى البحث النقدي ذلك، وقد ضمن أصحابها الاستمرار بفضل قابليتها للتجديد والتطوير وقدراتها في المجال التطبيقي على

(1)- شاراز زالمان: تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ص 122.

(2)- Jean -Loius Ska: Introduction a la lecture Du Pentateuque, p 149.

(3)- Lods: Histoire De La Littérature Hébraïque Et Juive, p 98.

(4)- Ibid, p70

(5)- شاراز زالمان: تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ص 123.

المناهج النقدية الغربية الحديثة للتأخ ————— د- أسمهان بوعيشة

استيعاب أغلب أسفار التأخ، في حين عجزت باقي النظريات عن إيجاد أدلة أكثر إقناع من نظرية المصادر ولم يستطع النقاد تطبيقها على كل أسفار التأخ.

*نظرية الأجزاء The Fragment Hypothesis افترضت وجود عدد غير محدود من الروايات المتناثرة، والنصوص المنعزلة بدون استمرار في الرواية، ثم جمعت في وقت متأخر من طرف محرر أو عدة محررين.

* يؤمن أصحاب نظرية الملحقات The supplementary Hypothesis بوجود لُحمة ومصدر رئيسي Grandshift وهو المصدر E تناقلته أجيال بني اسرائيل، غير أن هذا المصدر الرئيسي عرف إضافات مستمرة لعدة قرون من المصدر اليهودي J.

*التضارب بين النظريات و المصادر و تاريخها و كتابتها و مكان كتابتها وما إلى ذلك يضع نظرية المصادر و غيرها في مأزق مُشابه للرواية الدينية من المحافظين والأرثوذكس، حيث أنها لم تستطع الإجابة أيضا عن إشكالات مهمة تتعلق بتأثير المصادر على بعضها البعض، خاصة فيما يتعلق بتأثير المصادر المصنفة حسب هذه النظرية على أنها حديثة في المصادر الأقدم من ذلك تأثير المصدر P على J.